التقديم :

https://nidaulhind.blogspot.com

مدونة علمية دعوية فكرية

(راجيا دعائكم)
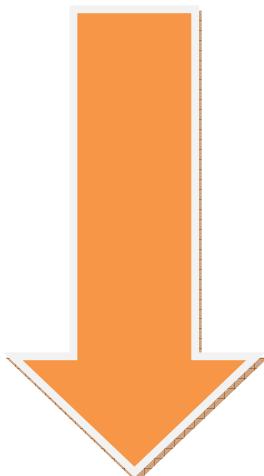
الشيخ العلّامة الميمني

بقلم: الأستاذة عطية بنت خليل الأنصارى

فتحت عينى و كان بيت والدى الشيخ خليل الأنصارى منزل الأدباء و مقر كبار علماء لغة الضاد و عش العلماء و منبر الفقهاء و المحدثين كما كان مرجع الأتقياء و الصالحين من بلاد الهند و من روسيا و بورما و ماليزيا و ذلك فى بلدة بوفال. و لم تمح من ذاكرتى أسماء هؤلاء غير أن الأستاذ عبدالعزيز الميمنى بقى أقرب صلة منى و أبرز شخصية من زملاء و أحباء والدى رحمهم اللّٰه.

عرفت الميمنى منذ عمر مبكر بل منذ لم أكن شيئاً مذكوراً من ناحية العلم و الأدب و كم جلست حوله و كان زائراً لوالدى فى منزله كصديقه العزيز و ضيفه الكريم من بلدة عليجراه أو حيدرآباد.

نعم ، كان الشيخ الميمنى يجالسنى و كنت طفلة صغيرة و يحبنى كثيراً إذ يحكى حكايات لطيفة و أحيانا طرائف عربية نادرة و كنت اشتاق إلىّ استماعها منه كما كنت أظل رهن إشارته فى أثناء زيارته لنا لتقديم بعض الكتب من مكتبة والدى فى البيت.

و لم أكن أعرف مكانته العلمية و قيمة انتاجاته الأدبى و عظم جوانب شخصيته الكريمة أنذاك لصغر سنّى و قصر فهمى ولكن لن أنسى المناقشات الأدبية التى كانت تجرى بين الميمنى و أبى و تشاركهما أختى الكريمة المرحومة رقية خليل الأنصارى التى كانت أستاذة فاضلة و مشغوفة بالأدب العربى - تشاركهما من وراء حجاب.

فى باكستان :

ثم رأيت الميمنى بعد استقلال باكستان حيث كنا نسكن فى

منطقة واحدة بمدينة كراتشي و كان دأب والدى أن يخرج كل صباح مع الميمني إلى البلد كما كان الميمني أحيانا يزورنا في المساء و يأتينا ماشياً و كنت في تلك الأيام ، أدرس على والدى الحماسة لأبي تمام إذ كان إبن العلامة الميمني، محمّد عمر ميمني زميلي في دراساتي على أبي و لو كان طالباً في جامعة كراتشي.

لم يكن هذا التعارف خاطفا و لا معرفة قصيرة و لكنه لم يسمح لي بالانطباعات الواضحة عن سيرته و شخصيته العظيمة.

و لكن بعد مدة غير يسيرة في عام ١٩٦٥/١٩٦٦م وجدت الميمني في حفلة أسبوعية كانت تقام على شرفه في إحدى الدوائر الحكومية للشئون الأدبية اللغوية (ترقى أردو بيورو، كراتشي) حيث كان يلقي العلامة محاضراته العلمية و الأدبية و يتحدث عن أحوالـه الشخصية و عن الكتب و المخطوطات النادرة التي عثر عليها و استخرجها من بطون أمهات الكتب الأدبية و أحياها بعد ما قضى عليها الزمن و هي تعد من تراثنا الأدبي المجيد ـ و في أثناء محاضراته كثيراً ما كان يسئل عن شيوخه و تلامذته الأحياء منهم و الأموات ـ و قد طبعت له تلك المحاضرات الأدبيـة التاريخية بعد تسجيلها في مجلة أدبيـة شهرية "اردونامه" باسم (*إفادات الميمني*)

و ها أنا أقص عليكم قصة الميمني قصة فقيد العلم و الأدب كما عرفتها لأن النفوس تستروح بذكريات الماضي و هـذا نـوع مـن الاستروح لصلتي القريبة من الميمني رحمه الله.

سيرة الميمني:

في صبيحة يوم من أيام الشتاء من شهر ديسمبر عام ١٩٧٣م شرفني العلاّمة الميمني في بيتي على مأدبة الغداء فاغتنمت هذه الفرصة و سجلت سيرته بصوته ـ ثم كتبت عنه ما أملى علي عن أحواله الشخصية و هو كما يلي:

الميمني يقول: "أنا العاجزعبدالعزيز بن الحاج عبدالكريم بن يعقوب الميمني، أصل آبائنا من بلدة بردولي في مقاطعة جان نكر من ولاية كاتهياوار. نزح أبو جدي مع جدي شاباً إلى معسكـر راجكـوت

و كان الإنجليز اختاروا هذه الولاية الصغيرة لطيب مناخها و اسكنوا عساكرهم خارج راجكوت (صدربازار) فتعاهد جد أبى مع الإنجليز لتهيئة مؤن الحياة لعساكرهم، فرغبا فى سكن راجكوت و أخذا يشتغلان في أعمالهم إلى أن توفى جدّ أبى و لم أدركه أنا، أما جـدى فقد أدركت عصره ، و خلف المرحوم من أعمامنا و عماتنا نحـو عشرة كلهم كانوا من الجمال و طول القامـة و القـوة و الصحة على درجة يغبطون عليها. و قد دعتهم رحمة الله بأسرهم و لم يبق منهم أحد.

"و كان جدى زوّجنى بنت عمتى الكبرى فولدت لى ستة من الأولاد، ثلاثة من الذكور و ثلاثا من الأناث توفيت واحدة منهن إلى رحمة الله و كما تعرفين هناك ابنى محمد محمود ميمن و هو أستاذ فى قسم الجغرافيا بجامعة حيدرآباد السند و منزله فى حارة هيرآباد. أما ابنى سعيد ميمن فهو تاجـر و أصغر أولادى محمّد عمر ميمن فى امريكا و قال مخاطبا إياى كما تعرفين اختك صفيـة فى بيتها مع ذويها و زبيـدة تسكن فـي بونا (PUNA) ، الهنـد ـ و قد جاءت إلى باكستان لزيارتى، و اخوانها فى باكستان".

ثم شربنا الشاى و أكلنا من الفواكه و كثيراً ما كان يعجبه التين و الزيتون حتى زرع شجرة التين فى بيته ـ و كان دائماً يقطف لى من التين عند زيارتى له فى بيته "ميمن منزل" بهادرآباد، كراتشى. ثم استمرّ الشيـخ فى حديثـه و قال:

> *"أما الميمنيون قومنا ، فيقال أن أصلهم من السند دخلوا فى حظيرة الإسلام على يد بعض المرشدين فى الطريقة الجيلانيـة و لعل ذلك كان فى القرن التاسع".*

و قال ميمنى عن أسرته كما يلى:

> *"إن إسرتى انتقلت إلى كاتهياوار فى أيام بعض الملوك المظفرية باحمدآباد قبل امبراطور "اكبـر" و لكـن أهلـى لم يكونوا من أهل العلم و التعليم، لم نر فيهم و لا سمعنا من نبغ منهم فى لسان ما مـن الألسنة و لا يوجد عنـدهم دفاتـر أو كتب يكونون قيدوا فيها بعض مآثرهم غيـر بعض الكتب و الدفاتر فى الحسابات".*

عقيدة الميمني: و تحدث الميمني عن صلة والده بالعالم مولانا سليمان المحدث الهندي الكبير الذي كان يتردد عليه و يجلس في حلقاته ، و تأثر بدعوته السلفية.

ولادة الميمني: و لما تزوج والدي و هو في الثانية و العشرين من عمره عاهدالله "إن ولد له ولد فيخصصه لتعلم الدين فولدت بعد عامين فكنت بكر أولاده ". و لما بلغت نحو ستة أو سبعة أعوام أرسلني والدي بعد أن انتهيت من قراءة القرأن الكريم و بعض مبادئ الأردية إلى جوناكره حيث كانت توجد مدرسة تسمى "مهاوت مدرسة" و نزلت عند عمي يوسف ميمن و بقيت نحو ثلاثة أشهر أتردد على هذه المدرسة. أذكر أني تعلمت فيها بعض "آمدنامه" (رسالة من الرسائل الفارسية) التي كانت تدرس في بلاد الهند كدراسة ابتدائية للغة الفارسية) و تعلمت خط الحروف الفارسية.

أساتذة الشيخ و شيوخه: رافق بعض الأساتذة في رحلته العلمية لبلدة دلهي و منهم الشيخ عبدالخالق و كان ذلك في أواخر شهر ديسمبر عام ١٩٠١م و ظل فيها ثلاثة أعوام ـ درس خلالها بعض الكتب في الصرف و النحو باللغة الفارسية و كما يبدو من حديثه أنه لم يستفد الفائدة العلمية في أثناء بقائه طالبا في دلهي و اعتمد على نفسه قبل اعتماده على الشيوخ فقال: "إني لن استفيد في المستقبل شيئاً ، إلاّ إذا جعلت شيخي نفسي".

نعم هو جعل شيخه نفسه غيرأنه تلقى دراساته العالية العربية على يد الشيخ نذير احمد الدهلوي (و هو من كبار علماء الدين في الهند له تفسير للقرآن الكريم و مؤلفات كثيرة بالأردية). و قال : إنه قرأ على الشيخ امداد اللّه المكي و المحـدث الهندي الكبيـر الشيـخ أحمد حسن خان تونكي (تونك بلدة من راجبوتانه الهند). و أخيرا أنقل عن الميمني ما كتب عن شيخه في الحديث و هو ما يلي:

"و بعد فإجازة الإمام محمّد بن علي الشوكاني رواها لي شيخي الراوية الرحالة القاضي حسين بن محسّن الأنصاري نزيل بهوبال الهند ١٢٤٥ ـ بهوبال ١٣٢٧/٥/١٠هـ بمدينة دهلي الهند درب حبش خان، حيث

كان مقام إمام الهند السيد نذير حسين و مدرسته لعشر ليال بقين مـن صفر الخير عام ستة و عشرين بعد الألف و ثلاثمائة من الهجرة و أنا فى العشرين قبيل وفاة شيخنا بعام، و هذه الإجازة تندر بوجوه ... الخ

"ح و برواية البصـرى و النخلى أيضا عن الشمس محمّد بن علاء الدين البابلى المصرى عن سالم بن محمّد عن النجم الغيطى عن زكريا الأنصارى عن شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلانى. و باقى الأستاذ موجود فى الاثبات المؤلفة فيه. و أجازنى شيخى يوم الأربعاء لعشربقين من صفر سنة ١٣٢٦هـ بدهلى، و هذا إمضاؤه: العاجز الفقير حسين بن محسّن الأنصارى الخزرجى السعدى اليمانى عفا اللّه عنه. يتلوه الختم."

لقد نقلت هذه العبارة من الإجازة التى أجازنى إياها الشيخ الميمنى فى الحديث كما كتب بخط يده أخيرا "و قد أجزت عطية بنت صديقى المرحوم الشيخ خليل بن محمّد بن شيخنا الراوية الرحالة السند حسين بن محسّن إذ تروى ما أرويه عن جد أبيها و تدعولنا الخير و الحسنى. و كتب العاجز عبدالعزيز الميمنى بمدينة كراتشى أخر شوال سنة ١٣٩٣ - أول ديسمبر ١٩٧٣م."

يتلوه الختم

عبدالعزيز الميمنى

هذا و قد أشار الشيخ الميمنى إلى بعض الكتب التـــى درسهـا و منها شافية ابن الحاجب بالعربية و بعض الشروح الفارسية و الحقّ أنـه لم يجعل طيلة حياته شيخا من الشيوخ إلا نفسـه.

نظرة عابرة على آثار الميمنى و مؤلفاته: لقد كان الميمنى وحده الذى اندمج فى كيان اللغـة و تعرف علـى أسرارهـا و أمثالها و حـل رمـوزها المستعصية و كمل نواقصها المشوهة - أحيا الرمم البالية و نفث فيها من روحه حياة و قوة و فكرا و معرفة.

كتب الشيـخ الميمنى الكثيـر مـن الأبحـاث و العديـد مـن الـدراســات و التعليقات التى طبعت له فى المجلات العربية الرصينة و منها مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق و مجلة المجمع العلمى (العراق) و مجلة الزهراء (القاهرة).

أسلوب الميمني: كان الشيـخ الميمني يتعمد فـي أسلوبـه استعمال الكلمات العربية القديمة بل أحيانا الغريبة و كثيرا ما كان يسلك مسلك أهل البديع من التزام للسجع لما كان قد تأثر كثيراً بالأدب العربي القديم و قد درس الأدب الإيراني القديم و الشعر الفارسي و قد أفادته في ذلك ذاكرتـه القويـة إلـى حد بالغ من الغرابة إذ كان يحفظ نحو مئة ألف من أبيـات العرب القديمـة منهـا و الحديثة.

فلا غرابة إذا تأثر أسلوبـه بلغـة الفرس و مـاعندهم من ضروب الاطناب و التفخيم حيث أن الفارسية بقيت لغـة رسمية و لغـة الشعر و الأدب حتـى لغـة تدريس النحو العربي في شبـه القارة الهندية مئات من السنين الماضية في عصر المغول.

أما أسلوبه فهو كما يلي:

كتب في مقدمة الوحشيات لأبي تمام - " فلا غرو أنـه مـن حسن الإختيار و جـودة الإنتقاء دون صنـوه: الحماسـة و إن كانا في الترتيب رفيعي لبان، و فرسي لهان ، أو خليلي صفاء و فرقدي سماء ".

و كما ورد في كتاب" الطرائف الأدبية" إذ كان يقدم شكره للمؤرخ الكبير المرحوم أحمـد أمين رئيس لجنـة التأليف و الترجمة و النشر. "و خاتمة تعالى أن أقدم خالص شكري و شكر العلم و ذوية للأستاذ أحمد أمين رئيس لجنة التأليف حرسه الله على عنايته هذه الأمور.

"من التراث التآلف الخالف، من العصر السالف و اللقى البائر، من الزمان الغابر حتى تجلى كالهدى، في الدرع البهي."

و من أبرز ما أحياه الشيخ الميمني من مخطوطات و هي كثيرة:

١- ديوان حميد بن ثور الهلالي، مع بائية أبي دواد الأيـادي. و قامت بنشره دار الكتب المصرية بالقاهرة عام ١٩٥١م.

٢- ديوان سحيم (عبد بني الحسحاس) و قد نشرته ـ دار الكتب المصرية في عام ١٩٥٠م.

٣ - الطرائف الأدبيـة و احتوت على ديوان أفوه الأودي و ديوان الشنفرى ، و تسع قصائد نادرة و ديوان ابراهيم بن العباس

الصولى، و المختار من شعر المتنبى و البحترى، و أبى تمام للإمام عبدالقادرالجرجانى - و قامت بنشره لجنة التأليف و الترجمة و النشر بالقاهرة.

٤- كتاب الوحشيات و هو الحماسة الصغرى لأبى تمام حبيب بن اوس الطائى نشرته دارالمعارف من سلسلة ذخائر العرب - ١٣٨٣/١٩٦٣ هـ

٥- كتاب الفاضل لأبى عباس محمّد بن يزيد المبرد - دارالكتب المصرية.

٦- كتاب "المنقوص و الممدود" للفراء مع كتاب التنبيهات لعلى بن حمزة البصرى ، نشرته دارالمعارف بالقاهرة.

٧- كتاب سمط اللآلى فى شرح امالى القالى للوزير إلى عبيد البكرى ، دارالكتب المصرية نشرته في مجلدين - أما الجزء الثالث فهو فى تحقيقه و جمعه و توقيعات مقدماته و كان يكتب و يعدل (علق عليه و حققه) صححه و أخرجه ، و عارض النسخ المختلفة / نقحه ، و حقق مافيه و استخرج من بطون دواوين العلم.

و له رسالة أيضاو هى محاضرته التى ألقاها فى إحدى الجامعات الهندية عن المفضليات و صاحبها.

و مما لاشك فيه أن سمط اللآلى هو الكتاب الذى جعل الميمنى موضع إجلال و تقدير و احترام و إعجاب خاص فى أوساطنا العلمية شرقا و غربا، و كان يفتخر به و يعتز كثيرا بهذا الكتاب أيما اعتزاز.

و كان الشيخ الميمنى كما قال الشاعر الجاهلى تأبط شرا " قوال محكمة جواب أفاق "و هو أول رجل من رجال العلم و الأدب فى شبه القارة الهنديـة و الباكستانية، شد الرحال فى طلب العلم و إحياء الموات من المخطوطات العربية منقبا عنها. فكان من الشخصيات السواحة الجوالة فى العالم العربى و الإسلامى حتى وصل إلى فلسطين و استانبول و قسطنطنية و لبنان و المغرب العربى. و كان يحاول الحصول على المخطوط بدفع ثمنه من جيبه الخاص أو بمال الجامعة التى كانت تعتمد على الشيخ الميمنى و على اختياره و جهوده فى الحصول

على أندر المخطوطات العربيـة فى اللغـة و الشعر و الأدب. و كانت هذه الكتب قد أخرجها و هو رئيس قسم اللغـة العربيـة فى جامعة عليجراه أو فى جامعة كراتشى أو رئيس قسم اللغة العربية بجامعـة بنجـاب، أو كأستاذ و بحاثه ممتاز فى أبرز جامعات الهند و باكستان.

و هناك كلمات قيمة عن شخصيته الأدبية وردت فى مؤلفاته تقديما أو اعترافا لفضل الميمنى أو إعجابا و تقديرا من الذين طبعوا مؤلفاتـه النادرة فى بلادنا العربيـــة. و هى تدل على قيمـة مؤلفاتـه و تحدد مكانته العلمية فى العالم الأدبى.

تلامذة الشيخ الميمنى. لقد بقى العلامة الميمنى أستاذاً و رئيساً للقسم العربى فى أبرز الجامعات الهندية و الباكستانية مـدة طويلة فلا استطيع أنا و لا غيرى أن يستقصى عـدد تلامذته اللّهم إلاّ أستاذى الدكتور السيد محمّد يوسف محقق الأشباه و النظائر (الحماسة للخالديين) الذى كان مـن أرشـد تلامـذة الشيـخ و أبرزهـم، أنجبهـم و أحبهم ، أشهرهم و كان الشيخ يفتخر و يعتزّ به و يحبه حب الوالد ولده و كذلك وجدت الدكتور السيد محمّد يوسف كان يحب أستـاذه الجليل و يحترمـه و يخدمـه ، و قد بقى الدكتور السيد محمّد يوسف رئيساً لقسم اللغـة العربيـة بجامعـة كـراتشى مـدة طويلة و قد توفى فى لندن إذ كان فى طريقه إلى بلاده من نيجيريا ، و ذلك قبل وفـاة شيخه و استاذه الميمنى و تاريخ وفاة الدكتور السيد محمّد يوسف هو ١٩٧٨/٧/٢١م و هناك أستاذ فاضل آخر أيضاً من أشهر تلامذة الميمنى و هو رئيس القسم العربى (سابقاً) بجامعـة على جراه الهند و مؤسس المجمع العلمى الهندى أيضا، و هو الدكتور السيد مختار الدين أحمد و قد قابلنى الدكتور السيد مختار الدين أحمد فى عليجراه حيث كنت هناك فى زيارة رسمية لبلاد الهند. أراه محتذيا حذو أستاذ الشيخ الميمنى فى البحث و التعليق حيث قد اختار مسلك الشيخ الميمنى فى آرائه و أبحاثه العلمية فأبقاه اللّه تعالى.

أما زيارتى الأخيرة للشيخ الميمنى فكانت قبل يومين من وفاته فى ١٩٧٨/١٠/٢٥ حيث توفى الشيخ فى ١٩٧٨/١٠/٢٧م. و قد كنت رئيسة القسم العربى آنذاك، و زرته فى الإجتماع السنوى للجنة

الشئون الدراسية العالية فى القسم العربى و قد ظل رئيسها طوال حياته، و لكن أعتذر و قـال لى ـ يا بنتى ! لقـد غلبتنـى الهموم و الأمراض و كأنى فى طريقى من الدنيا إلى الآخـرة فدبرى الأمـر و أنت الآن و الحمد لله صاحبة الأمر و أدعو لك أن يوفقك الله و يكون فى عونك و أنت فى خدمة اللغـة العربيـة".

هذه نظرة عابرة ألقيتها و صورة رسمتها عن العالم الباحث المحقق العظيم الشيخ عبد العظيم الميمنى و فيما ما رسمه هو لنفسه و ما رأيته من خلال صلتى بهذا العالم الكبير.

إن هـذه الصورة كما أرى تدل على سر عظمة اللغة العربية التى هى لغة القرآن و عرف قدرها بل شغف بحبها المسلمون فى بلاد غير عربية، و تدل على عظمة الدين الإسلامى الذى انتشر فى مشارق الأرض و مغاربها و أطراف الهند، الدين الذى أخرج أسرة الميمنى من ظلمات الشرك و الوثنية إلى نور الإسلام و شغف حبا ولدها العزيز الشيخ عبد العزيز الميمنى بهـذه اللغة و بقرآنها المجيد و حديث نبيها الكريم و تراثها الزاخر العظيم نثراً و شعراً فخدم الرجل هـذه اللغـة فكان نعم الرجل من رجال الهند و الباكستان الذى خدم هذه اللغـة و علومها و نقب عن كنوزها و عظم شأن رجالها فجاءت أعماله نافعة زاخرة بكل جديد و إن كان قديما و بكل قديم و إن كان جديدا. فرحمه الله تعالى و أدخله فسيح جناته.